

استراتيجية النص الموازي  
العنوان من التسمية إلى التسمية

Paratext strategy

The title from occultation to labeling

د. العربي مصابيح

جامعة وهران ، arabi.misabih@yahoo.fr

ملخص:

أضحت العنوان هاجسا ملحا للناص وهو يقدم نصه للقارئ نظرا للدور الخطير الذي يمارسه "العنوان" في العملية الأدبية إبداعا وللغواية المثيرة التي يبثها حول النص تلقيا، فالعنوان جزء لا يتجزأ من إستراتيجية الكتابة التي يمارسها الناص (الكاتب) لاصطياد القارئ وإشراكه في لعبة القراءة، كما يعدّ العنوان بعداً استراتيجيا من أبعاد القراءة لدى المتلقي في محاولة فهم النص وتفسيره وتأويله، ونهدف من خلال هذه الورقة إلى الوقوف على استراتيجيات العنوان في المنجز الأدبي، وعلائقته بالنص والمتلقي، ومدى التوفيق في بناء العنوان وصياغته ليؤدي الوظيفة القصصية والوظيفة الجمالية كنص مواز له أثره ودوره في العمل الأدبي.

كلمات مفتاحية: النص؛ التسمية؛ استراتيجية؛ العنوان؛ التلقي

**Abstract:** Titrology has become an urgent obsession for the text as it presents its text to the reader due to the dangerous role played by the "title" in the creative literary process and the exciting temptation it broadcasts around the text receptively. Titrology is an integral part of the writing strategy practiced by the text (the writer) to hunt the reader and involve him in the reading game. The title is a strategic dimension of reading for the recipient in an attempt to understand,

interpret and interpret the text, and the extent of success in building and formulating the title to perform the intended function and the aesthetic function .

**Keywords:** text; labeling; strategy; title; recipient

المؤلف المرسل: العربي مصابيح، الإيميل: [arabi.misabih@univ-mascara.dz](mailto:arabi.misabih@univ-mascara.dz)

## 1. مقدمة:

لقد ظلت القراءات النقدية وإلى عهد قريب مرهقة بفلسفة الأصل والأساس وبالتالي نبذت التتّمات والإضافات (العتبات النصية) إلى دائرة الصمت والنسيان دون أي محاولة لمساءلتها وتفسير وجودها الأنطولوجي في مواقعها النصية؛ "إنّها جريرة الفكر الكلي – الشمولي القائم على الثنائيات والمنحاز إلى طرف وتغيب الطرف الآخر، ومن هنا أزيحت العنوان بوصفها بداهة" (الجزار، 1998، صفحة 61) ، فالعنوان يتصدر الكتاب من الخارج فهو واضح وغير ملتبس وهذا ما يسوغ إقامته في فضاء الهامش النقدي، "إنّ البداهة غالبا ما تتجاوز لتُترك ملغمة بالأسئلة الحرجة والفجوات العمياء" (الجزار، 1998، صفحة 35)، دون أن يُنظر في الأدوار الإستراتيجية التي تؤديها من خلال بنيتها المحددة، فالرغبة عن مقارنة العنوان النصية كانت مدفوعة باليقين من أن "الأصل" أو "الأساس" أو "المتن" أولى في خطط إستراتيجيات القراء وطرائقهم في مقارنة النصوص وتحليلها، من هذه البداهة تتوغل بنا العتبات النصية إلى مجموعة من التساؤلات المحفوفة بالقلق، لماذا اختار الكاتب هذا العنوان وما علاقته بالنص؟ وهل تمارس المصادفة أو المقصدية دورها في تشكيل هذا العنوان ؟

إنها أسئلة ملحة في النشاط النقدي للقراءة تمتزج فيها لذة التقصي بالكشف ومتعته.

## 2- اللغة وإستراتيجية التسمية:

العنوان حدث ثقافي تواصل في اللغة وباللغة يمنح النص هويته واختلافه في إطار "إستراتيجية" (حسين، 2006، صفحة 98) التسمية التي تتوغل بها اللغة في إحداث صورة للعالم عبر تجزيته وتحديدته إلى عناصر دلالية من خلال حدث التسمية ، الذي يقودنا إلى معرفة الآلية التي تعمل بها العنوان وفعلها الدلالي والتداولي في الكتابة عموما والأدبية على الخصوص.

يتحدث رومان ياكوبسن R. Jakobson في مقارنته الشهيرة لوظائف اللغة

(ياكوبسون، 1988، الصفحات 27-28) عن ست وظائف تؤديها اللغة، وفيها تبرز

الوظيفة المرجعية F.Referentielle أو الإحالية التي تحيلنا على العالم – المرجع ، ومن خلالها تتغلغل اللغة لتمارس لذة التسمية مع عوالم الوجود لتخرجه من حال التداخل والعماء إلى التشكل والتمايز، ومن الغياب إلى الحضور ومن الخفاء إلى التجلي ومن دهايز المجهول إلى فضاءات المعلوم.

تنبثق خطورة اللغة من هذه الوظيفة المرجعية حين تسمى أو تعنون كائنات العالم بعلامة أو رمز لغوي ليصبح العالم بعد ذلك في متناول اللغة، اللغة هي سكن الوجود، أي أنها تشكل البعد الوجودي للكائن من خلال احتوائه وتشكيله بفعل إستراتيجية التسمية، فالتسمية هي: "إمكان انبثاق العالم من عمائه وفوضاه من خلال الإمكانية التي تسلطها اللغة على العالم لتقطيع صلابته وتحويلها إلى معرفة، كما لو أن غياب اللغة يوحي بغياب العالم " (حسين، 2006، صفحة 99)، ولذلك يماثل مارتن هايدغر M.heidegger بين اللغة والعالم " فاللغة ليست مجرد أداة يملكها الإنسان إلى جانب غيرها من الأدوات، وإنما اللغة بوجه عام وقبل كل شيء ، ما يضمن إمكان الوجود وسط موجود ينبغي أن يكون موجودا منكشفاً، وهناك فحسب توجد لغة، يوجد عالم." (هايدغر، 1994، صفحة 16)، واللغة لن تكون لغة إلا حين تمارس التسمية وتصنع عالماً من كلمات بأقل كلفة اقتصادية، فهي النظام الرمزي الأكثر اقتصاداً، ولذلك تتجلى قداحة التسمية من حيث " إنها أخطر حدث تنجزه اللغة، فهي إشارة تكشف وتؤسس " (اليوسفي، 2002، صفحة 192)

ومن الوظائف الكبرى للتسمية أنها تشكّل الأجزاء التمهيدية لقضية الحضور والتواجد في حدود العالم، وبالتالي فهي التي تكسبه الهوية والتميز والاختلاف.

## 1.2- التسمية والأنظمة الثقافية:

إن اختلاف طرائق اللغات في تشكيل الموجودات وصياغتها يعكس السلطة التي تمارسها الأنظمة الثقافية والاجتماعية في تحديد صورة العالم ورسمها، فالتسمية ليست متعالية على النظم الثقافية التي تحيط بالكيانات الاجتماعية وتحصرها، فهي لا تخرج عن سطوة النظام الثقافي المحدد.

اللغة تسمي العالم بحسب العلاقات والبنى الاجتماعية والبعد الكينوني الذي تتضمنه قدرات اللغة الترميزية، و قد يفهم هذا الترميز والتشكيل الجديد للصور والعلامات على أنه اعتباطي، وأريد أن قليلاً عن هذا المصطلح الذي إما فهم خطأ، من خلال عدم اعتماد جانب الحرية اللغوية في تشكmoيل هذه الموجودات، فالتشكيل هنا حر عبر المرجعية الذاتية لكل مجتمع، ثقافة وفكراً ومرجعيات، وهي بهذا تختلف تماماً عن مبدأ الاعتبار الذي قد يميل إلى الفوضى والصدفة في تشكيل البعد المفاهيمي والدلالي للأشياء والمعاني، الأمر الذي يعطي السياق الثقافي شرعية التدخل في إضفاء القيمة على العلامة اللغوية،

ومن هنا لم تكن اللغة لتستمد طاقتها الرمزية إلا من الحرية الثقافية في تفسير العلامة العلامة، وقد لا أتفق كلية مع ما ذهب إليه أحمد خضراوي بقوله: "فالاسم لا يحيل على الشيء مجرد إحالة إنما يفككه ويعيد صوغه ويضيف عليه عبر المجازات صورا هي ليست له." (خضراوي، 1998، صفحة 72)، فهذه الصور والمجازات التي تشكلها العلامة للمسمى، لم ليست له؟، هل للعلامة دلالة واحدة حتى تؤسس مفهوما واحدا؟ العلامة متغيرة بتغير الثقافات والعادات، والعلامة نفسها تختلف من بيئة إلى بيئة، ومن بلد إلى بلد، بل حتى في المنطقة الواحدة الضيقة يمكن أن تحمل دلالات مختلفة ومتضادة أحيانا، وبالتالي مصطلح الاعتباط مصطلح مدسوس لا أثر له في تشكيل التسميات، وإن كل اسم يُشكّل فقد صار واقعا وصارت له دلالاته وحضوره وأثره، وكل ما يلحقه من صور ومجازات هي له، هو افترضها وأوجدتها وشكّلها وفق مستودعه الثقافي والتراثي الذي ينتمي إليه.

يؤكد خالد حسين على أنّ فعل العنوان يصنع وجوده في حدث التسمية "يمكننا تأويل عملية التسمية بـ"العنوان غير المباشرة" في مواجهة العنوان المباشرة التي تجد في قسمة الكتابة مجالا لممارسة ألعابها وغوايتها" (حسين، 2006، صفحة 101).

وهذا ما يؤكده محمد عويس في حديثه عن العنوان وعلاقتها بالتسمية: "نقصد بالعنوان المباشر ما اتخذته الإنسان للأشياء وللأفعال من أسماء كانت عنوانات دالة عليها، لكن هذه الأسماء لم تكن عنوانات مباشرة لأنها لم تتخذ شكلا ثابتا يمكن أن يكون أساسا للعنوان له خصائص مطردة؛ لذا فإن الإنسان يجتهد في وضع إشارات دالة على الأشياء والأفعال يهتدي بها في نظام حياته الاجتماعية والمعرفية." (عويس، 1988، صفحة 45).

ومما أعجبني من أقوال الدكتور خالد حسين صاحب كتاب (في نظرية العنوان)، مقولاته التي تتعلق بدور اللغة بين التسمية والتسمية حيث يقول: "إن تاريخ العنوان يولد مع ميلاد الكلمة، فالعنة التي انطلقنا منها: في البدء كانت اللغة، لا تعني في حقيقة الأمر سوى؛ في البدء كانت التسمية –العنوان، فلا شيء يجري على الانكشاف ما دامت اللغة لا تمارس التسمية" (حسين، 2006، صفحة 103).

## 2.2- الكتابة وإستراتيجية العنوان :

شكلت لغة المشاهدة الفضاء الملائم للعنوان غير المباشرة أو العنوان الصوتية وما يصحبها من تلاشي وزوال بفعل سيرورة الزمن تاريخيا، الأمر الذي دعا إلى ابتكار تكنولوجيا بديلة عن الصوت تنتقل من ثقافة السمع وما يترتب عنها من قرب ومباشرة واتصال ونقل وحفظ وذاكرة إلى ثقافة البصر (العين) وما يرتبط بها من وقائع البعد والانفصال والقراءة والتأويل .

يقول والتر ج. أونج walter .j.ong في موضوع الكتابة تعيد بناء الوعي: "إن فهما أعمق للشفاهية الأصلية أو الأولية يمكننا من فهم عالم الكتابة الجديد فهما أفضل، فهم ماهيته وماهية الكائنات البشرية من الناحية الوظيفية: أعني تلك الكائنات التي لا تنمو عمليات تفكيرها من قوى طبيعية بل تنمو من هذه القوى بعد أن تعيد تكنولوجيا الكتابة بناءها بشكل مباشر أو غير مباشر، فمن دون الكتابة لا يستطيع العقل الكتابي أن يفكر على النحو الذي يفعله، ليس فقط عندما يمارس الكتابة بل حتى في حالة إنشائه أفكاره في شكل شفاهي، لقد غيرت الكتابة شكل الوعي الإنساني أكثر من أي اختراع آخر" (أونج، 1994، ص167)

لقد مثلت اللغة -الكتابة الثورة على كارثة النسيان، كابحة هجومها المستمر على الذاكرة المعاشة على بقايا وأثار الصوت.

إن الدال الصوتي لا يسمح للمتلقي بالتأمل في حركته ونشاطه ، لكونه غير قابل للتكرار، في حين تكرر الكتابة غياب المتكلم أو المنتج وقابلية الدال للتوالد والقراءة والتأويل، " إن الدال الكتابي لا يعرف الحضور والاستقرار ولا ينفك ينزلق من حافة مدلول إلى آخر لكونه لا يعشق سوى دهاليز الغياب ويمتطي الإرجاء مشتغلا في فضاء التشتيب والتناص. " (حسين، 2006، صفحة 103).

لقد ولدت الكتابة ومن بعدها الطباعة ما يسمى بالشكل والخطاب مدرجة البعد البصري في عملية تلقي النص وإنتاجه بوصفه بعدا له حضوره في توليد الدلالة النصية، ومن الطبيعي أن تستأثر العنونة بواجهة النص وبوابته المشرعة على المتلقي لمعالجته بصريا من حيث طبيعة العنوان اللسانية والغرافولوجية (الخطية)، واستنثار العنوان بصفحة مستقلة أعطاه الكينونة ليمارس وظائفه السيميوطيقية والإحالية والإشهارية .

العنوان بعد كل هذا؛ نص مواز و علامة دالة و إعلان للقارئ بقصد إغوائه حتى يلج في متعة القراءة ولذاتها.

العنوان هو العتبة الأولى للنص، وهو صلة الوصل بين الداخل(النص)والخارج(القارئ)، وهو الآلية التي من خلالها يكتسب الخطاب هويته وكيوننته، تمايزه واختلافه.

العنوان هو العلامة التي تعطي وتنسيده معلنة ميلاده ووجوده، تمنحه جواز الرحلة في هذا العالم حضورا ووظيفة وممارسة في واقعه السوسيو-ثقافي، باعتباره همزة وصل تجمع النص بعبثاته وتشكل تقاطعات متشابكة تؤسس لمنتوج متكامل يتوزع وينتشر في

ثنايا القراءات التي تتوالد عند القارئ وتشكل علامات تمارس التدليل وتتموقع في الحدود الفاصلة بين النص والعالم.

### 3.2- العنونة من التعيين إلى التنصيص:

يشير محمد فكري الجزار إلى أن "العنوان للكتاب كالاسم للشيء به يعرف وبفضله يتداول، يشار به إليه ويدل به عليه، يحمل وسم كتابه" (الجزار، 1998، صفحة 15)، وهذا ما يفضي بنا إلى مناقشة الفروق الدلالية بين الكلمتين (العنوان، الاسم)، فالتسمية ليست هي العنونة ذاتها، إذ الاسم تحديد للكينونة في حين العنوان ترسيخ للهوية في كينونة زمانية ومكانية وارتباط بسياق من التعيين، ويأخذ الاسم طابع التخيير اعتباطاً، فالإنسان يسمى الأشياء أي يقترح لها دلالة محددة هي نضج تعالقات رؤيته لما في نفسه وما حولها، في حين يستقي العنوان وجوده من مسيرة تطور الوعي الإنساني وتحضره، وانتقاله من الدلالة الاعتبارية إلى أفق من النضج والوعي والتجربة، وفي مقابل الإيجاز الدلالي واللفظي في الاسم يأتي العنوان ليحتل أكثر من مفردة ويؤسس لقيم دلالاته التي تستعين بالاسم وغيره.

وإذا كان الاسم وصفاً، فإن العنوان تواشج لتصورات في الرؤية والتخيير وترابط بين صيغ ذهنية مدركة للعلاقة بين العنوان والشيء الذي وضع له، والاسم تمثل لقيمة محددة تشير إلى مسماها من دون مطالبة مسبقة لها بأن تدل عليه بقوة وجودها، في حين يستقر العنوان عند لزومية تواصله مع ما وضع له، يستحضرها ووعي المعنونة والمتلقي عبر جغرافية التعالق والتواصل الدلاليين، والاسم توليد لخصوصية ذات طابع مترسخ من الدلالة المتواترة لما اختيرت له، في حين يخضع العنوان لفاعلية التأويل وحركيتها الخصية بما يوحي ويفصح عنه عبر ثقافة تخص المتلقي وتؤشر إمكاناته في تفحص العنوان واستنطاقه. الاسم دال ينطق بمدلول مثبت إليه غالباً، أما العنوان فيستوفي هذه المعادلة ليخرج منها إلى ممارسة رمزية تحال فيها تعددية الدوال إلى مدلولات تبتكر لنفسها مدلولات جديدة وهو ما تعكسه آلية العنونة في تجارب الحداثة الأدبية.

"العنوان سمة الكتاب" (الجزار، 1998، صفحة 18)، يشير هذا القول إلى أن العنونة قرينة الكتابة، إذ يندر توفرها في الثقافة والإبداع الشفويين بسبب عدم الحاجة إليها كون العنونة إفصاح عن طبيعة المحتوى الكتابي الذي وضعت له وإظهار واعتراض يجذبان المتلقي ويستوقفانه؛ في حين يأخذ الشفوي مساراً مختلفاً في التلقي "ففي ظل المنطوق يحدث الاتصال في "زمكانية" واحدة حيث يتواجه المرسل-المتكلم، والمستقبل/المستمع في ظل مجموعة من الشروط الخارجية الواحدة يطلق عليها "سياق الموقف" (الجزار، 1998، صفحة 18).

وجلّي في الشعر العربي القديم قبل التدوين اعتماده على المشافهة، متّكناً على التجربة الإيقاعية والموسيقية المطلّة على القصيدة من صدرها الأوّل عنواناً، ورويتها الأخير تسمية، فنجد قصيدة قفا نبك، وقصيدة بانث سعاد، كما نجد لامية الشنفرة، وميمية عنتره، وقد ترتبط القصائد بالأحداث والمناسبات والظروف، كالمعلقات، والحواليات والخمريات والمفضليات والغلمانيات، وغيرها.

وظلّ الشعر العربي رهين هذه التسميات والعناوين مدداً طويلة، لا يؤبّه للعنوان إلا في حدود الاسم الذي يفرق به عن غيره، حتى بدايات القرن العشرين حيث صار عنوان النص الشعري مرتبطاً بغرضه وموضوعه ومناسبته لاسيما عند جيل الإحياء فكان العنوان عندهم هو "همزة الوصل ما بين النص والحادثة أو هو تبرير لوجود النص أو تأكيد لانتماؤه، وإذا خرج النص عن المناسبة فإن العنوان سيكون موضوع القصيدة مثل قصائد شوقي في حكايات الحيوان والموضوع هنا يختلف عن الدلالة، لأن الموضوع يصدر عن المعنى الصحيح والغرض المكشوف ولا يلامس الأبعاد الدلالية الشاعرية التي تتوجه نحوها الكتابة الإبداعية" (الغذامي، 1992، الصفحات 49-50).

وفي خضم التلاقح الثقافي الذي شهده القرن العشرون، والهجرة الأدبية العربية نحو الغرب تأثر النص العربي بالنص الغربي ونماذجه الإبداعية المنجزة، تحقق للغة أن تتجه إلى التقاط الحس الشعوري المتفجر في النص فخرجت العناوين إلى فيض تعبيرى يتشكل من مفردات الذات وانشغالاتها العاطفية وتأملاتها في الطبيعة والوجود وتأسست في ذلك آلية من العنونة الرومانسية تواتر حضورها عند جماعة أبولو والمهجر مثل عناوين "حنين لوعة، هجران، ذكرى، رؤيا، وداع، الليل، الفجر... أما حين تخرج إلى أكثر من مفردة فيهيمن نسق البناء القائم على الوصف أو الإضافة مثل الأجنحة المتكسرة، الأرواح المتمردة" (حداد، 2002، صفحة 41).

وبعدها تزيّنت الشعرية العربية بوشاح البراعة والجمال في اختيار عناوين رومانسية أوقعت المتلقي العربي في حبالها فانكبّ على اصطفاء العناوين، كدرر ولآلى كسرت هذه الرتبة المملّة بين العنوان ونصه حتى وصل الأمر إلى ضرب من المواجهة المتحدية مع جمل شعرية تنصدر النصوص وتباغت القارئ في سلسلة من التحولات الدلالية موهلة في الغموض ومشتتة لذهن القارئ.

### 3- علائقية العنوان /النص

لم يكن هناك من عصر أعطى العنونة أهمية كعصرنا الحديث حتى لنستطيع القول إننا نعيش عصر العنونة، التي أصبحت تفرض حضورها على المستوى الشخصي بما يحدد لكل منا هويته وانتماءه الجغرافي والوظيفي والفكري " وهي قبل ذلك سمة لمختلف أشكال

الأداء عند الدول والأنظمة والأحزاب، ولعله مما يثير فاعلية التأمل، أن يكون ظهور التوجهات الرومانسية وانشغالاتها بالعنوان مساوفاً للنزوع السياسي نحو إنجاز خصوصيات الهوية، وإنشاء الأنظمة المستقلة وهي تحمل عنواناتها الفكرية والاجتماعية، وتعلن عن هويتها الوطنية، أو القومية المتميزة." (حداد، 2002، صفحة 41).

ومن هنا بدأت العنونة تتغلغل إلى الوسط السوسيوثقافي الفاعل بأنماطها المختلفة وتشكل منظومة وعي ورؤية يتحولان إلى آلية للتواصل تنهض به خصوصيات المعجم اللغوي لكل مرحلة أو عصر، انطلاقاً من أنساق عنوانية تعبر عن ذلك كله.

وظلت العنونة رغم ما نالها من حظّ البناء والتركيب في صياغتها وما نالها من فن وجمال في قيمها ومعانيها، فإنها لم تنل نصيباً من اهتمام الدرس النقدي التقليدي الذي انشغل بالأديب وعصره وتفصيلات حياته ونوازعه النفسية والاجتماعية على حساب النص ومشكلاته التركيبية والدلالية.

وتعدّ البنيوية من أولى النظريات النقدية التي التفتت إلى العنوان كبنية نصية لها دلالاتها وأبعادها الجمالية والوظيفية، حيث وقفت عند (النص) ومارست دورها في التحليل والقراءة لتفسح مجالات التداول النقدي وتدفعها إلى ممارسة "المحاينة مع النص من حيث التشكل، كان العنوان الملتصق بكيونة النص أقرب بها إلى أفق الاهتمام." (حداد، 2002، صفحة 42).

فما دام النص بناء تتحرك فيه دوال متعددة تضع مدلولاتها، فإن العنوان منضو تحت هذه الرؤية ومستجيب لها، وفي سياق حركية الرسالة بين مرسل ومتلقٍ وما يتجلى من آليات اشتغال وتأويل وقراءة يمكن للعنوان أن يندرج في إطار هذه الآلية، ليرسم حدود فاعليته.

وكما يستجيب النص لعمليات من التفكيك وإعادة البناء وصولاً إلى اكتناه قيمه، يضع العنوان نفسه في أهبة الاستجابة لمثل هذا الجهد القرائي، وهكذا فالعنوان قرين نصه ومرادفه، يقع له ما يقع للنص ليصبح مثله مادة لمختلف القراءات المنهجية.

لقد خضع العنوان في ظل هذه النظريات النقدية إلى احتفاء كبير، جعله يطور حضوره في التجربة الأدبية والممارسة الإبداعية المعاصرة إلى حد الخروج به إلى فيض دلالي قائم على خصوصية تعبيرية، ربما آلت به إلى تكوينية دلالية وجمالية تفعمه بالتفرد والغرابة عن سياق نصه، وتصنع له بلاغته المغايرة، بما أوشك أن يؤسس ثقافة نصوية متميزة تخص العناوين دون النصوص.

اعتورت العنوان من خلال تعالقاته بنصه مواقف عدة، منها ما يُعلي من قيمة العنوان

تجاه نصه ويباعد بينهما ويعد وجوده مستقلاً عنه، فهو الموضوع العام عند (كوهين) الذي يشكل الخطاب النصي أجزاءه: "فالنص إذا كان بأفكاره المبعثرة سنداً، فإن العنوان مسند إليه". (الجزار، 1998، صفحة 35)، وهكذا يصبح العنوان نصاً كلياً بإزاء نصه.

لا شك أن تحليل عنوان عمل ما يكون مختلفاً، منهجياً وإجرائياً عن تحليل عمله، لكون العنوان "ليس زائدة لغوية للعمل ولا هو عنصر من عناصره، انتزع من سياقه ليحيل إلى العمل كله [...]" ولكن العنوان نظراً لاستقلاله الوظيفي رسالة كاملة ومستقلة في إنتاجيتها الدلالية" (الجزار، 1998، صفحة 35)، وطبقاً لذلك فإن المعاينة القرائية للعنوان عليها، "أن تفرد إجراءات خاصة، وتمييزة لتحليل العنوان على مستويين، الأول: مستوى ينظر فيه إلى العنوان باعتباره بنية مستقلة لها اشتغالها الدلالي الخاص، والثاني: مستوى تتخطى فيه الإنتاجية الدلالية لهذه البنية حدودها متجهة إلى العمل، ومشتبكة مع دلائليته، دافعة ومحفزة إنتاجيتها الخاصة بها" (الغذامي، 1992، صفحة 50).

وقد عدّ (الغذامي) العنوان عملاً يخلو من أي شاعرية، بالمقارنة بالنص الذي يعتبر غنياً وخصيباً "وبذلك تصبح علاقتنا مع العنوان "ضرباً من التوتر المتطفل... لأن العنوان في حقيقته عمل طفيلي يأتي قسراً وبدون دعوته" (الغذامي، 1992، صفحة 50)؛ ويبرر الغذامي قوله بلا شاعرية العنوان، وكونه عملاً طفيلياً، بسبب آلية إنتاجه من قبل المبدع، فهو طبقاً لرؤيته نشاط عقلي، جاء بعد أن ثاب عقل الشاعر إلى رأسه، وبعد أن أفرغ انفعالاته وحولها إلى نص حي مائل، ثم نظر إلى هذا النص وفكر فيه، لكي يستنبط منه عنواناً، وفي المساحة التي تفصل بين هذين الموقفين يعلن عن نفسه، رأي وسط ينظر إلى تعالقات العنوان بنصه على أنها علاقة رحمية، مثلما وصفها (جيرار جينت)، حيث "يشكلان بنية معادلة كبرى (العنوان/ النص)، أي أن العنوان بنية رحمية تولد معظم دلالات النص" (حمداوي، 1998، صفحة 110).

وهو ما يذهب إليه (جريفل) أيضاً الذي يقول بأن العنوان يحيل على مرجعية النص ويتواشج معها، إذ يتضمن العمل الأدبي بأكمله بنفس القدر الذي يتضمن به العمل الأدبي العنوان، وبذا فإن العنوان يحمل هوية نصه التي هي هويته ذاتها، ومثلما يتدخل النص في توجيه العنوان، ليصبح النص إجابة عن تساؤل العنوان، فإن الأخير "يعلن عن طبيعته النص، ومن ثم يعلن عن نوع القراءة التي تناسب هذا النص". (حداد، 2002، صفحة 44).

فالعنوان متواشج مع نصه مستجيب لحركيته لأنهما ينشدان التعبير عن واحدة الانشغال الذي تتمثله رؤية المبدع وتتأسس عليه، ومن الطريف أنهما لا يتعالقان في ذلك وحده، فالتأصيل اللغوي لكلا المفردتين يحمل في واحد من حدوده المعجمية اشتراكهما في دلالة (الظهور) (حداد، 2002، صفحة 50)، بما يجعل كلا منهما مباشرة تعبيرية للإفصاح عما

تجيش به نفس المبدع الأديب من تلك الأفكار والرؤى التي يظهرها النص وعنوانه معاً.

ومن البداهة القول بأن ليس هناك من عنوان بلا نص يندرج تحت خيمة إشارته إليه، ولا من نص يمكن أن تقف عنده عين التأمل لا ينهض بإشهار هويته عنوان يكون هو الدليل إليه. وهكذا تتأسس جدلية وجودهما المتجسدة في اتحادهما كينونة ودلالة، ولا يتمظهر ذلك في حدود السطح المباشر والمعلن من قيم تعبيريتهما والتشكيل الجمالي لهما فحسب بل وفي البنية العميقة التي تمسك بهما، لتحركهما في منافذ التعبير عما يحتكم إليه حضورهما من (مهيمنة) تتمثل في قيمة أساس أو فكرة تستوطن جسد النص لتتحكم في سياقاته الدلالية وبناءه التعبيرية، ولتصبح بؤرة استقطاب لمستوياته وعناصره جميعاً.

#### 4-الخاتمة:

يقع العنوان في مساحة فاعلية (المهيمنة) التي سبقه النص إلى محاورتها وتلبسها، ومن هنا فإن قراءة العنوان لا تتم بعيداً عن قراءة متن نصه وما يتحايل معه.

ولعل في التاريخ ما يؤيد ذلك ويدعمه، فحين كانت تستعين بصوتيتها وتكويناتها الإيقاعية الأساس، لتستمد منها عنونتها فهي إنما تبحث عن صيغة تواشج دلالي بين العنوان والموسوم به، وهي حين تتكئ على الغرض أو المناسبة فإنما تسعى إلى الأمر نفسه.

عندما أخذت الشعرية العربية تبتكر عنونتها التي لا تتلمس بعض النص بل رؤيته وشيء من فيضه الوجداني، فإن تعالقات ذلك العنوان بنصه كانت أكثر عمقاً وتواصلًا، إذ أصبح بنية مكثفة للنص تستجيب لموجهاته شعورياً وثقافياً وجمالياً.

تداول العنوان في تعالقاته مع نصه أكثر من آلية ترتبط بنوعية ذلك التعامل ومنطلقاته، وصفة من يقوم به.

فالمرسل / المبدع يكون الغالب على نظرته إلى العنوان وقفة متأخرة يحصنها شيئاً من العناية والرؤية والتشكيل، ليصنع لنصه الناجز عنوانه، وبذلك تصبح حركية التعالقات عنده على الآتي: المبدع/ النص/ العنوان.

أما المتلقي فيتحرك في مسار مختلف في تعاملاته مع النص وعنوانه، إذ يتمتع العنوان عنده بأولية التلقي، الذي يؤسس عليه اتصاله اللاحق بالنص، ويمكن أن نخلص إلى جملة من الآليات تؤسس لاستراتيجية تداولية للعنوان تتمثل فيما يلي:

\* الانطلاق أساساً في تحديد الإجراءات من طبيعة (المهيمنة) التي ستحقق لمسعى غايته في الإمساك بدلالة العنوان، وهو يتواشج مع نصه.

- \* ضرورة التوقف عند وظائف العنوان ومقاصده، فمن خلالها يتجلى الكثير من فاعلية العنوان والأس التعبيري الذي تأسس عليه.
- \* دراسة معجمه اللغوي، من حيث عدد المفردات، وطول العنوان، وقصره، مستفيدين من الطرق الإحصائية، لتحديد قيمه العددية، شرط ألا يكون ذلك جهداً منقطعاً إلى تلك الممارسة الميكانيكية، إذ ينبغي علينا فيه تحليل النتائج وإرساء قيم دلالية ممكنة.
- \* التوقف عند بناء جملة العنوان نحويّاً من حيث نوع الاسمية التي فيها وحالات الأفراد وسواها، ومن حيث التنكير والتعريف، وطبيعة العلاقات بين ألفاظها وما يبرز فيها من صيغ أكثر تكراراً، تتحكم بسمة العنونة وحركتها الدلالية.
- \* يغلب على العنونة أن تكون نثرية حتى في الشعر، ومن هنا فإن تفحص نسقية العنوان، وقيمه الجمالية، ومساحة تعالقها مع النص، أمر لا بد منه، قصد الإمساك بخصائص جملة العنونة وسياقاتها التعبيرية، وهي تصنع شاعريتها الخاصة أو تنأى عنها.
- \* لا بد من التوقف عند مستوى فاعلية العنوان الأكبر الذي وضع للديوان الشعري في تشكيل نسق عنوانات نصه، ومثلها تعالقات عنوان الرواية مع ما لفصولها من ذلك، وكذلك المجموعة القصصية وما بين قصصها وعنوانها الموضوع على غلافها من صلات دلالية.
- \* تأمل طبيعة العناوين التي بين أيدينا، ومدى تواصلها مع ما قدمه صاحبها من منجزات أدبية وما حملته من عنوانات تعبر عن تجربته، ومع ما لعصرها ومرحلتها من سمات عنونة خاصة، هي نتاج ثقافة المرحلة ومنتجها المعرفي.
- \* الإمساك بمستوى الثقافة التي ينطق بها العنوان، "من حيث تناصه مع عنوانات وكتب وأقوال وطبيعة ما يقيمه معها من حوار.
- \* دراسة العنوان من حيث تشكله بوصفه تكويناً جمالياً، في إطار فاعلية التمثل والتخييل، ومنافذ التلقي للتجاوب، وما يندس في ذلك كله من مسعى المبدع لإنتاج ما يخصه من العناوين ويدل على مستوى تجربته وأفقه الرؤيوي.

## 5. قائمة المراجع:

### المؤلفات:

-رومان ياكوبسن، قضايا الشعرية، ت. محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1988.

-عبد الله الغذامي، ثقافة الأسئلة (مقالات في النقد و النظرية ) ، النادي الأدبي، جدة، ط.1، 1992

5-مارتن هايدغر، اللغة أخطر النعم ضمن كتاب اللغة (نصوص مختارة ) ، إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، سلسلة دفاتر فلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1994

6- محمد عويس، العنوان في الأدب العربي (النشأة والتطور )، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1988

7-محمد فكري الجزار، العنوان وسميوطيقا التواصل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998

8-لطفي اليوسفي، فتنة المتخيل، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2002

#### المقالات:

1-جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، المجلد الخامس والعشرون، الكويت، 1998

2-خالد حسين حسين، اللغة -الكتابة وإستراتيجية العنونة، مجلة الموقف الأدبي، العدد 428، دمشق، 2006

3-علي حداد، العين والعتبة(مقاربة لشعرية العنونة عند البردوني)، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العدد370، 2002.

5-محمد أحمد خضراوي، سيميائية التسمية، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع104.105، بيروت، 1998

7-والتر .ج.أونج، الشفاهية والكتابية، ت.حسن البنا عز الدين، مراجعة محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، العدد182، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1994

#### هوامش البحث:

<sup>1</sup>- محمد فكري الجزار، العنوان وسميوطيقا التواصل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص.35، ص.61 (يوظف الدكتور محمد فكري مصطلح المرسل "مرسله

العنوان" كمرسلة كاملة ومستقلة في إنتاجاتها الدلالية وذلك لاستقلال وظيفة العنوان في علامة المتلقي) .

2 - خالد حسين حسين، اللغة – الكتابة وإستراتيجية العنوان، مجلة الموقف الأدبي، العدد 428، دمشق، 2006، ص. 98.

3 - رومان ياكوبسن، قضايا الشعرية، ت. محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1988، ص. 27، 28.

4 - خالد حسين حسين، اللغة- الكتابة وإستراتيجية العنوان، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، ع. 428، 2006، ص. 99.

5- مارتن هايدغر، اللغة أخطر النعم ضمن كتاب اللغة (نصوص مختارة ) ، إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بن

6- محمد لطفي اليوسفي، فتنة المتخيل، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2002، ص. 32.

7- محمد أحمد خضراوي، سيميائية التسمية، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع104.105، بيروت، 1998، ص. 72.

8- خالد حسين حسين، اللغة – الكتابة وإستراتيجية العنوان، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العدد 428، 2006، ص. 101<sup>1</sup>.

9 - محمد عويس، العنوان في الأدب العربي (النشأة والتطور )، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1988، ص. 45.

10- والتر .ج. أونج، الشفاهية والكتابية، ت. حسن البنا عز الدين، مراجعة محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، العدد 182، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1994، ص167

11 - خالد حسين حسين، اللغة – الكتابة وإستراتيجية العنوان، مرجع سابق، ص. 103.

12 - محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية للكتاب، 1998، ص. 15.

13- انظر علي حداد، العين والعتبة (مقاربة لشعرية العنوان عند البردوني)، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العدد 2002، 370، ص.

- 14 - محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، مرجع سابق، ص.18
- 15 - المرجع نفسه، ص.18
- 16 - عبد الله الغدامي، ثقافة الأسئلة (مقالات في النقد و النظرية ) ، النادي الأدبي، جدة، ط.1، 1992، ص ص. 49<sup>1</sup>، 50
- 17 - علي حداد، العين والعتبة (مقاربة لشعرية العنوان عند البردوني)، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد كتاب العرب بدمشق، العدد370، ص.41
- 18 - المرجع نفسه، ص.41
- 19 - علي حداد، العين والعتبة (مقاربة لشعرية العنوان عند البردوني)، مرجع سابق، ص.42
- 20 - عبد الله الغدامي، ثقافة الأسئلة(مقالات في النقد والنظرية ، النادي الادبي )، جدة، ط1، 1992، ص ص.49-50
- 21 - محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص.35
- 22 - المرجع نفسه، ص.35
- 23 - عبد الله الغدامي، ثقافة الأسئلة(مقالات في النقد والنظرية)، مرجع سابق، ص. 50
- 14 - عبد الله الغدامي، ثقافة الأسئلة(مقالات في النقد والنظرية)، مرجع سابق، ص.50
- 25 - جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، المجلد الخامس والعشرون، الكويت، 1998، ص.110
- 26 - عن علي حداد، العين والعتبة(مقاربة لشعرية العنوان عند البردوني)، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العدد 2002، 370، ص.44
- 27 - ينظر: علي حداد، النص وأسراره، مجلة الباحث الجماعي، العدد الثاني، آب، 2000، ص 50.